**تذكير أهل الإسلام بأوّل جمعة من شهر ذي القعدة الحرام وفضائله العظام**

**2023-04-24**

الحمد لله الذي جعل الزمان أطواراً، وصرّف الأيام والشهور أدواراً، وخصّ من بينها أوقاتاً جعلها للفضل والخير مِضماراً، فاصطفى من الشهور أربعةً حُرُماً، جعل الذنب فيهنّ أعظم، والعمل الصالح فيهنّ أكرم، تعظيماً لشعائره، ورفعةً لمنار دينه. فسبحانه من إله منّ علينا بالأشهر الفاضلة. وأسبغ علينا فيها نعمه الكاملة. وفتح فيها أبواب التوبة والمغفرة والرحمات. وكسى فيها عباده التائبين المخلِصين الآيِبين من فضله أثواب القَبول والكرامات. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، جعل الشهور في كتابه إثنيْ عشر شهرا في العِدّة. منها أربعة حُرُم. أوّلها شهر الله الحرام ذو القِعدة. وثلاثة بعده. ذو الحجة ومحرّم ورجب الذي انفرد عنها وحده. ذلك الدين القيّم. فمن لم يَظلِم فيهنّ نفسه فقد بلغ رُشده. ومن أطاع ربَّه فيه فقد أنجح قصده. وأَشْهَدُ أَنَّ سيّدنا مُحمَّداً عَبْدُ اللهِ ورَسولُهُ، وصَفِيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ وحَبِيبُهُ، سبب هدايتنا، وسرّ عنايتنا، وباب سعادتنا، والشفيع الأعظم لنا يوم بعثنا وحشرنا ونشرنا، نسأل الله تعالى أن يمنّ علينا ببركته. وينظمنا في عِقْد معيّته. ويدرجنا في درجة ولايته. ويكتبنا في منشور سعادته. ويخصّنا بشفقته ورحمته. اللهم آمين.

هذا الحبيبُ رسولُ الله عُدَّتُنا * هذا رسولُ إلهِ العرْشِ مولانَا

صلّوا عليه عبادَ الله واجتهِدوا * فإنّ ذاك به الرّحمانُ أَوْصانَا

وعَظِّموا سيِّدَ الكوْنَيْن كلُّكُمُ * ورَدِّدوا ذِكْرَه سرًّا وإعلانَا

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. حامل لواء العزّ والنصر. وعلى آله سادة أهل البدْو والحضر. وصحابته الممدوحين في الآيات والسُّوَر. صلاةً تنوِّر بها منّا القلب والسمع والبصر. وتعصم بها منّا الألْسُنَ والخواطر والفكْر. وتدخل بها علينا نوافح بركاته المحمّديّة بالآصال والبُكَر. وتجعلها لنا تميمة واقية تحمينا بها من الإستدراج والمكر. وتحفظنا ببركتها من صَوْلة الحوادث الوقتية ونكبات الدهر. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا ربّ العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. للهِ الحِكمَةُ البالِغَةُ. ولهُ الخلقُ والأمرُ. فقد فضَّلَ بعضَ الشُّهورِ على بعضٍ. وبعضَ الأيامِ وبعضَ السَّاعاتِ على بعضٍ! حتى الأنبياءِ الكرامِ. عليهم

الصَّلاةُ والسَّلامُ. فضَّلَ بعضهم على بعضٍ. فالسعيد كما قال الصالحون: مَنِ اغتنم مواسم الشهور والأيام والساعات. وتقرّب فيها إلى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات. فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات. فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار وما فيها من اللفحات. وقد أخرج الطبراني في الكبير من حديث محمد بن سلمة رضي الله عنه مرفوعا: ((إنّ لله في أيّام الدهر نفحاتٍ فتعرّضوا لها. فلعلّ أحدَكم أن تصيبه نفحةٌ فلا يشقى بعدها أبدا)). أيّها المسلمون. قَدْ أَظَلَّنَا شَهْرٌ عَظِيمٌ، الشَّهْرُ الْمُبَارَكُ بِإِذْنِ اللهِ، شَهْرٌ هُوَ أَحَدُ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، وَهُوَ الثاني في أَشْهُرِ الْحَجِّ؛ ألا وهو شَهْرُ ذِي الْقَعْدَةِ الحرام، قَالَ اللهُ تَعَالَى في سورة التوبة: {إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْراً فِے كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالَارْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۖ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۖ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۖ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۖ وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَۖ}، نَعَمْ، هَذَا الشَّهْرُ هُوَ الشَّهْرُ الْأَوَّلُ مِنَ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، وهي ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ، وَوَاحِدٌ مُنْفَرِدٌ؛ فالْمُتَوَالِيَاتُ: ذِو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَالْمُنْفَرِدُ رَجَبٌ بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ. قَالَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: ((إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ))، وَهُوَ ثَانِي أَشْهُرِ الْحَجِّ المعْلومَةِ، الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا كما في سورة البقرة: {ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۖ}؛ قَالَ ابْنُ عُمَرَ رضي اللهُ عنهُمَا كما في البخاري: ((هيَ: شَوَّالُ وَذُو الْقَعْدَةِ وَعَشْرٌ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ))، وهي مواقيتُ الحَجِ الزمانيةِ؛ قالَ ابنُ عباسٍ رضي اللهُ عنهُمَا فيما رواه البخاري: ((مِنَ السُّنَّةِ أَلَّا يُحْرِمَ بالحَجِّ إِلَّا في أشهُرِهِ))، أيّها المسلمون. وسُمِّيَ شهر ذي القعدة بِهَذَا الِاسْمِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ كَانُوا يُعَظِّمُونَ هَذَا الشَّهْرَ، فَيَقْعُدُونَ عَنِ الْغَزْوِ، والقِتَالِ، حَتَّى يَتَمَكَّنُوا مِنْ تَجْهِيزِ أَنْفُسِهِمْ لِلْحَجِّ. وَيَتْرُكُونَ السَّبِيلَ لِلْحَجِيجِ لِيَحُجُّوا، فكان شهر أمْن وسلام، شهر كفّ عن الدماء، وهذه رسالة لنا اليوم: أن يكون هذا الشهر شهر طمأنينة، وإصلاح، وترك للعدوان والظلم. فأين نحن اليوم من هذا المعنى؟! نحن اليوم في زمن تُنتهك فيه الحرمات، وتُستباح الدماء، خاصة في أرض فلسطين. فأين تعظيم الأشهر الحرم؟ وأين تعظيم الدماء؟ كيف نطلب النصر، ونحن لا نعظّم ما عظّم الله؟ كيف نرجو الفرج، ونحن نستهين بالذنوب؟ انظروا إلى واقع المسلمين، في فلسطين، في غزة، دماء، حصار، آلام، ألا

يستحق هؤلاء أن نراجع أنفسنا؟! إنها دعوة: للرجوع إلى الله، للتوبة الصادقة، لنصرة المظلومين بالدعاء والعمل، أيّها المسلمون. شهد هذا الشهر المبارك، شهر ذي القعدة الحرام، أحداثًا جليلة؛ فقد كانت بيعة الرضوان التي أثنى الله بها على المؤمنين في هذا الشهر، فقال تعالى في سورة الفتح: {لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُومِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ}، وفيهِ كَانَ صُلحُ الحُديبيةِ، سنَةَ سَتٍ مِنْ الهِجرَةِ، وقدْ سَمَّاهُ اللهُ فتحًا مُبينًا؛ فقال جلّ شأنه: {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً}؛ وفي الحديث المتفق عليه، قالَ عُمرُ بن الخطاب رَضِي اللهُ عنهُ: ((أَوَ فتحٌ هوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قالَ: نَعَم))، وفيه اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم، أربع عمرات متفرّقات، آخرهنّ التي كانت مع حجة الوداع، ففي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: ((اِعْتَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَرْبَعَ عُمَرٍ، كُلَّهُنَّ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، إِلَّا الَّتِي مَعَ حَجَّتِهِ))، أيّها المسلمون. إنتبهوا جيّدًا، فإنّ الذنب في كل وقت عظيم، لكنه في الأشهر الحرم أعظم جرمًا وأشد إثمًا. والمعصية في هذا الشهر ليست كالمعصية في غيره! قال تعالى: {فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ}، قَالَ قَتَادَةُ رحمه الله: ((إِنَّ الظُّلْمَ فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ أَعْظَمُ خَطِيئَةً وَوِزْرًا، مِنَ الظُّلْمِ فِيمَا سِوَاهَا، وَإِنْ كَانَ الظُّلْمُ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَظِيمًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُعَظِّمُ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ))، قالَ العُلَمَاءُ: (إنَّ السيّئَةَ تُعظمُ أحيَانًا بشرفِ الزمَانِ أو المَكَانِ، وقدْ تُضَاعفُ بشرفِ فاعِلهَا، وقوّةِ مَعْرِفَتِهِ)، ويَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: ((فَإِنَّ الذَّنْبَ يَتَضَاعَفُ فِيهَا كَمَا أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ يَتَضَاعَفُ فِي الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ))، أيّها المسلمون. وشهر ذي القعدة شهر يهيّئ القلوب للدخول في موسم عظيم هو ذو الحجة، الذي فيه أفضل أيام الدنيا، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما من أيامٍ العملُ الصالحُ فيها أحبُّ إلى اللهِ من هذه الأيام))، أيْ: عشر ذي الحجة، فكان ذو القعدة ميدانًا للاستعداد، وفرصة للتوبة، ومجالًا للإكثار من العمل الصالح. والتأنّي في الأمور محمود إلا في فعل الطاعات، والرجوع إلى الله تعالى، أمرنا فيها بالمسارعة والمسابقة، قال تعالى في وصف المؤمنين المتقين، كما في سورة المؤمنون: {أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِے ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَۖ}، وقال تعالى في سورة الحديد: {سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَالَارْضِ أُعِدَّتْ لِلذِينَ ءَامَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُوتِيهِ مَنْ يَّشَآءُۖ وَاللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِۖ}، فحريٌّ بالمسلم أن يغتنم هذا الشهر بالطاعات، ويجتنب الظلم والمعاصي، ويستشعر عظمة الزمان الذي عظّمه الله،

رجاء أن يكون من الفائزين برضا الله وبركته، أيّها المسلمون. فليُقبِل العبد على ربه في هذه الأشهر الكريمة، وليجعلها محطة لتطهير النفس، واستحضار عظمة من يعصي إذا عصى، وليكن على يقين أنّ الله إذا رأى منه صِدقًا فتح له أبواب الرحمة، ووقاه شرّ نفسه، وكان معه في ليله ونهاره. ومَن يُعظّم ما عظّمه الله، فذلك علامة على حياة قلبه، وسلامة فطرته، وصِدق توبته، كما قال تعالى في سورة الحج: {ذَٰلِكَۖ وَمَنْ يُّعَظِّمْ حُرُمَٰتِ اِ۬للَّهِ فَهُوَ خَيْرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ}، وقال سبحانه: {ذَٰلِكَۖ وَمَنْ يُّعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ اَ۬للَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى اَ۬لْقُلُوبِۖ}، فاتقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ حَقَّ التقوَى، وراقبوهُ فِي الأشهرِ عَامّةً، وفِي الأشْهُرِ الحُرُمِ خَاصةً، واغتنِمُوا نفَائسَ الأوقَاتِ بأنواعِ الطَاعَاتِ، فمنْ ضيّعَ ساعَةً مِنْ عُمُرِهِ في غيرِ طَاعَةٍ؛ عَظُمتْ خَسَارتُهُ واشتدّتْ يَومَ القيامَةِ ندَامَتُهُ. والتزمُوا حُدُودَ الله، وَأقيمُوا فرَائضَهُ، وَلا تغفلوا عَنْ مُراقبتِهِ، وبادِرُوا إلى إيقَاظِ قلوبِكُم بذِكْرِهِ وشكْرِهِ وحُسْنِ عبادتِهِ. اللهُمَّ وفقنَا لاغتنَامِ أعمَارِنَا فيمَا يُقربنَا مِنْ رِضْوَانِكَ، وأسْبَابِ دُخولِ جِنَانِكَ، ويباعِدُنَا عَنْ غضبِكَ ونيرانِكَ. اللهم اجعل بواطننا خيرًا من ظواهرنا، واستُرنا بسترك الجميل في الدنيا والآخرة، واغفر لنا ما أسررنا وما أعلنا، إنك أنت التواب الرحيم. اللهم اجعلنا ممّن وُفّق لأعمال البرّ والتقوى. وُرِزق سعادة الدارَيْن بحرمة رسوله الأتقى. سيّدنا محمّد المصطفى. صلى الله عليه وسلم حتى يرضى. وبحرمة آل بيته الشرفاء. وأصحابه الحنفاء. خصوصا الأربعة الخلفاء. ساداتنا وموالينا أبي بكر وعمر وعثمان وعلي. أهل الصدق والوفاء. اللهم يا من وفّقت أهل الخير إلى الخير وأعنتهم عليه. وفّقنا يا مولانا إلى الخير وأعنّا عليه. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ